

## فاعلية المكان عند ابن عنين (ت630هـ) \*

فارس ياسين محمد الحمداني \*

تأريخ القبول: 2019/11/26

تأريخ التقديم: 2019/10/24

المستخلص :

يقوم المكان داخل النص الشعريّ بدورٍ فعّالٍ في بنائه وتركيبه ، منه تتطوّل الأحداث ، وفيه تتحرّك الشخصيات ، وتشحنُ النصّ بدلالاتٍ مكثفةٍ تجعله نابضًا بالحياة وتضفي عليه طابعَ الشمولية والتكاملِ ممّا يجعله يتشكّل تشكيلاً فنياً خالصاً معطياً للقارئ انطباعاً واضحاً عنه ، فهو عنصرٌ مكوّنٌ للنصّ الشعريّ وتماسكه وانسجامه ، وبذلك يكونُ من عناصر التكوين الشعريّ فيحملُ بدلالته المتنوعة ملامحَ ذاتيةً وصفاتٍ إبداعيةً ومشاعرَ إنسانيةً ، فضلاً عن التجاربِ الاجتماعية التي تكملُ العملَ الفنيّ ، فالمكان بطبيعته المادية تختزلُ فيه الكثيرُ من المشاعرِ والأحاسيسِ الإنسانيةِ الخالصةِ ولاسيما أنها مرتبطةٌ به منذُ نشأته ، فالتراكم المعرفي عند ( ابن عنين ) مكثّه من تصويرِ الأماكن الواقعية تصويراً متخيلاً يستقرُّ في ذاته أولاً ، وذواتٍ متلقية ثانياً ، وتحفّزهم على الاستشعارِ به ؛ لأن كلَّ مكانٍ عنده مرتبطٌ بحدثٍ معينٍ وفعلٍ مشخصٍ برؤيته الفكرية وخزينِ ذاكرته، فالمكانُ خلاصةُ التفاعلِ بينِ الإنسانِ / الشاعرِ وبينِ دوره في إثارة

\* تنظر أخباره وترجمته في : معجم الأديباء ، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي ( ت 626 هـ ) تحقيق: إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، 1424هـ / 1993م ، ج 6 ، ص 2661 ، وينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان الاربلي ( ت 681 هـ ) تحقيق: إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ط1 ، 1994 ، ج 5 / ص 14 ، وينظر : سير أعلام النبلاء ، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ( ت 748هـ ) ، دار الحديث / القاهرة ، 1427هـ / 2006 م ، ج 17/ ص 559 ، وينظر الوافي بالوفيات ، صلاح الدين خليل بن آيبك الصفدي ( ت 764هـ ) ، تحقيق : أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، 1420هـ / 2000م ، ج 5 / ص 83 ، وينظر : الأعلام ، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي ( ت 1396هـ ) ، دار العلم للملايين ، ط 15 ، ج 7 / ص 125 .  
\* أستاذ مساعد / قسم اللغة العربية/ كلية الآداب /جامعة الموصل .

المشاعر داخل الذات التي تحاكيه مما يؤثر على سلوكه ، فيكتسب من سماته ليرسخ تجاربه الإنسانية بها .

الكلمات المفتاحية : صورة؛ تلقى؛ شاعرية

إنّ المكان الحقيقيّ معاشٌ بالنسبة للإنسان ، منها يأخذ انطباعاته وطريقة عيشه وتحفزه على الفعل والحدث ، ومن ثمّ تبني شخصيته وتنمي قدراته وتُظهر هويته ؛ لذا فقد أخذ المكان حيزاً من نصوص الشاعر متداخلةً مع إبداعه وانجازاته فصارت ذات أبعادٍ فاعليةٍ جماليةٍ مؤثرةٍ وذات أصالةٍ وخصوصيةٍ مميزةٍ محتضنةً عواطفه المغناةً بنصوصه ، كاشفةً أسرار حنينه للمكان واشتياقه له ، ولا يمكننا الحديث عن المكان وفاعليته قبل ولادتها شعرياً ، وتأثره به ، وانسجامه معه ، فهو الكيان الفعلي الذي يحتوي على تاريخه آماله والآمه ، وهو ارتباط حميميّ به يحوي وعيه الفكريّ والعاطفيّ .

والمكان يرتبطُ بالإدراك الحسيّ، ويتصلُ بالوصف<sup>(1)</sup>، ويمتازُ بالسكون ، وجلُّ اهتمامنا في دراسة المكان خلفيته الفنية ، وتشكله النفسيّ من زاوية معيّنة ، الذات الشاعرة لها ، التي من خلالها نكشف عن العلاقة الثلاثية ما بين (ذات الشاعر/الأنا) و (الأخر) الذي هو المتلقي/ القارئ، وبين المكان وعلاقته بساكنيه : -

الأنا ← المتلقي ← المكان

الذات → القارئ → الحيز

وما ينتج عنه من دلالاتٍ نفسيةٍ واجتماعيةٍ تكونُ للوهلة الأولى طبيعيةً بصريةً تتشكل لغويًا ، ثم شعريّةً خياليّةً نتيجةً لما يلقاه في المكان أو يجده فيه ، فالمكان وعاءٌ حسيّ يصبُ الشاعرُ فيه شحناته الانفعاليةً ويحوّله بخياله وشعره إلى مكانٍ مثاليّ إيجابي، أو مكانٍ سلبيّ حسب رغبته وطاقاته الشعرية ، فينتقلُ بالمكان من الواقع الموضوعي إلى عالمٍ مطلقٍ مفتوح ، ويعبُرُ بالصورة الحقيقية

(1) ينظر : -المكان ودلالاته في رواية (مدن الملح) لعبد الرحمن منيف، الأستاذ الدكتور صالح ولعة،

عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن 1431هـ-2010م، ص53

إلى صورة غيريّة تُدركُ بالخيال ، (واللغة تُكسبُ المكانَ خصائصَ فيزيقية ومجردة في آنٍ معاً) <sup>(1)</sup>.

والمتلقي لا يعرفُ بوجودِ المكانِ في النصِّ الشعريِّ إلا من خلال تشكّل المكانِ لغويّاً ليكونَ بديلاً عنه في الواقع الموضوعيِّ ، فيكونُ للمكانِ بذلك خاصيتان : الخاصيةُ الحسيةُ على أرضِ الواقع ، والخاصيةُ الشعريةُ الجماليةُ الموظفةُ في النصِّ الشعريِّ ، ويعدُّ المكانُ شعريّاً الخزينَ الاستراتيجيَّ لخيالِ الشاعرِ الذي يُظهرُ في جماليته والشاعرُ لم يتعاملَ مع المكانِ على أنه كيانٌ ماديٌّ فحسب بل صارَ نقطةَ ارتكازٍ مهمةٍ لخياله ، فكان مكانهُ كنقطةَ الضوءِ المشعّةِ في نصِّه الشعريِّ يكشفُ عن بها فحوى موضوعه، ومما يميّزُ المكانَ و توظيفها أنها تتوسطُ في التركيبِ بينَ رؤيةٍ شعريةٍ يتحكّمُ الخيالُ فيها ليمنحها بُعداً تأثيرياً جمالياً، وأحاسيس المتلقي ورؤيته النقدية ليتعرفَ على تجربة الشاعر، وبهذا فإن المكانَ المدمجَ الموظّفَ في بنية القصيدة يكونُ المفتاحَ الرئيسَ على عالم التخييلِ عندَ المتلقي<sup>(2)</sup>، والمكانُ عنصرٌ جوهريٌّ في بنية النصِّ ، فله وظيفةٌ تأطيريةٌ للمساحة التي تقعُ فيها الأحداثُ ، وبحكم شعريته يُضفي قيمةً اجتماعيةً وجماليةً على الحدثِ والمعنى .

يمكن المكان من الغوص في أعماق النصِّ الشعريِّ لاستخراج مكنوناته الجمالية ، كما أنّ (المكانَ حقيقةً معيشةً ، ويؤثرُ في البشرِ بالقدرِ الذي يؤثرون فيه)<sup>(3)</sup> فكان ورودُ المكانِ عندَ الشاعرِ تعبيراً عن مشاعره وذاته ليجدَ نفسه أمامَ المكانِ الطبيعيِّ الجغرافيِّ فيكونُ تفاعله معه ليُنْتجَ شعراً مكانياً يحملُ في طياته

(1) دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر -دراسة في إشكالية التلقي الجمالي للمكان، قادة

عقاق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001م، ص270

(2) ينظر: فاعلية المكان في الصورة الشعرية (سيفيات المتنبّي أنموذجاً) مجلة ديالى / العدد 40، 2009،

م.د. علي متعب جاسم، م.د. مثنى شفيق توفيق، ص4

(3) المكان ودلالاته ، يوري لوتمان، تقديم وترجمة سيزا قاسم، مجلة البلاغة المقارنة((ألف)) ، القاهرة

1986، العدد6، ص83

قضايا نفسية وشعورية وذاتية واجتماعية ، (فكل ملامسة للمكان إنما هي ملامسة لشبكات العلاقات التي تربط الأشخاص بالمجال المعيشي ارتباط وجود وانتماء وهوية) (1)، والشعر العربي شعرٌ مكاني في ارتباطه بالبيئة التي أنتجته ، والإنسان / الشاعر الذي أبدعه .

ويعدُّ المكان بناءً يتسمُ تشكيُّله بالحدثِ اعتمادًا على ملامح الشخصيات ومميزاتها وطبائعها، وهذا يساعدُ على تجاوزِ المكانِ الهندسيِّ إلى المكانِ الشعريِّ (2)، الذي يحملُ دلالاتٍ متنوعةً لتتسجَمَ معَ البعدِ الفنيِّ للنصِّ ، وأحيانًا يكونُ المكانُ هو الهدفُ من العملِ الشعريِّ كلةً ؛ لأنه يضمنُ التماسكَ البنيويَّ للنصِّ بأكمله .

إنَّ توظيفَ الشاعرِ للمكانِ يمُدُّه بطاقةً تخيليةً وجماليةً في التعبيرِ، وعمقًا في التفكيرِ ، ويحدِّدُ له مسارًا رؤيويًا متميزًا ، يفعلُه الجانبُ الآخرُ ( المتلقي) الذي يُسهم بدوره أيضًا في إحياء النصِّ تخيليًّا وجماليًّا من خلالِ منظوره المتجددِ للنصِّ ، والمكانُ يقدمُ دورًا في تكوينِ الشخصيةِ الإنسانيةِ وتصوراتها ، ومفاهيمها ، وتوجهاتها ، وإدراكها للأشياء ، كما يشكلُ باعثًا للإبداعِ ومفسرًا لأثاره النفسيةِ والاجتماعيةِ والجماليةِ ... (3) وبهذا يكونُ مصدرَ غنى للنصِّ الإبداعيِّ .

\* \* \*

(1) فلسفة المكان في الشعر العربي-قراءة موضوعاتية جمالية - د. حبيب مؤنسي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001م، ص5

(2) ينظر: - المكان ودلالته في رواية (مدن الملح) ص55

(3) ينظر: - دراسات في الشعر الفلسطيني المقاوم ، عبد الخالق العف ، رابطة الكتاب الفلسطينيين ، 2010 م ، ص 76 .

## 1/ المكان (خصوصية الوصف والموضوع):

ينجذب الإنسان بطبيعة الحال نحو أمكنةٍ مختلفةٍ ، ويتعلقُ بها لأسبابٍ متعددةٍ ، وخيالُ الشاعرِ في المكانِ يختلفُ عن خيالِ الإنسانِ العادي ، فليده هاجسٌ منزوٍ في أطرافِ ذاكرتهِ التي تختزلُ ملامحَ شعريّةِ المكانِ ليبيّنِي بها خياله ، ويطلقُها في نصّه لتمنحه الطاقةَ للتعبيرِ عمّا بداخله مبرزاً بريقَ المكانِ<sup>(1)</sup>، ف ( المكانُ الذي يأسرُ الخيالَ لا يُمكنُ أن يبقى مكاناً لا مبالياً خاضعاً لأبعادٍ هندسيةٍ فحسب ، بل هو مكانٌ عاشَ فيه الناسُ ليسَ بطريقةٍ موضوعيةٍ وإنما بكلِّ ما للخيالِ من تحيزات )<sup>(2)</sup> وهناك أمكنةٌ تمتلكُ قيماً جماليةً تجذبنا نحوه ولا سيما إذا كانتُ موظفةً توظيفاً فنيّاً في النصِّ الشعريِّ ، فنجد بعضها مليئاً بالنبض والحيوية ، ففيها ينشطُ الخيالُ وتتزاحمُ الصورُ المليئةُ بالرموزِ والدلالاتِ ، وتحركُ الحواسِّ ، لذا نجد ( ابن عنين ) يقولُ في خصوصيةِ المكانِ وهو يحنُّ إلى بيته في دمشق<sup>(3)</sup>:-

منازلُ أنسٍ ما أمحّت	بمَرّ الغواذي والسواري سطورها
كأنَّ عليها عبقرئٍ مطارفٍ	من الوشي يُسديها الحيا وينيرها
تزيد على الأيام نوراً وبهجةً	وتذوي الليالي وهي غصُّ حبيزها

(1) ينظر: بلاغة المكان/ قراءة في مكانية النص الشعري، فتحية كلوش، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت-لبنان، ط1، 2008م، ص9

(2) بناء الرواية، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، سيزا قاسم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1984م، ص76

(3) ديوان ابن عنين ، تحقيق ونشر خليل مردم بك ، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق 1365هـ/1946م، ص16

## إذ الريح مرّت في رباها كريهَةً حَبَاها بطيبِ النشْرِ فيها مروّها

للمنزلِ وقعٌ في نفسِ الشاعرِ وفضائِهِ وفكرِهِ الإنسانيّ ، فيه راحتُهُ ، وخارجُهُ له صراعٌ مع الحياةِ ، فالمنزلُ مهما كانَ شكلُهُ فإنّه يختزنُ حزمةً من الدلالاتِ فيه كالراحةِ والاطمئنانِ والدفءِ والحمايةِ والحبِّ والوقايةِ ...، ويشعُرُ فيه بالسكينةِ ، فالعلاقةُ بينَ الإنسانِ والمكانِ (المنزلِ) تتسمُ بالالتصاقِ والتلازمِ ، فذلكَ المكانُ الذي أرادَهُ الشاعرُ لم يمحُ أثرَهُ في نفسه على الرغمِ من كثرةِ الأمطارِ التي عدتْ عليها ( الغواذي ) كلَّ صباحٍ ، فظلت تلكَ المنازلُ رمزاً على الرغمِ من ظُروفِ الحياةِ وقسوتها، منبهاً إياها بـ(العُبقرى) لكمالِ الإبداعِ والحسنِ فيها لتتمامِ المبالغةِ في حبه لها ، مقتبساً ذلكَ من قوله تعالى ((الشَّجِينِ الرَّجِيمِ)) (1) تأثيثاً لمنزلهِ ، موظفاً الأداةَ (كأن) ليضعَ رؤيةً تلاحميةً للربطِ بينَ شعورهِ وشعورِ المتلقيِ تجاهَ المكانِ الموصوفِ فشعورهُ يُفتشُ في زوايا المكانِ سعياً لبيتِ الروحِ فيها لتتطورَ حدودُهُ الشعريّةُ إلى خصوصيةٍ أكبرَ ليدخلها في حيزِ مكانيٍّ أوسعٍ ، ثم يقحمُ الزمنَ في إطارِ المكانِ ( الأيامِ ، الليالي ) دلالةً على الاتساعِ والرحابةِ القصوى والسكينةِ والتأملِ والهدوءِ والإرادةِ الصلبةِ التي تثبتُ عليها ؛ لذلكَ يعدُّ المكانُ مفتاحاً من مفاتيحِ إستراتيجيةِ القراءةِ بالنسبةِ للخطابِ النقدي ، فهو يتغلغلُ عميقاً في الكائنِ الإنسانيِّ حافراً مساراتٍ غائرةً في مستوياتِ الذاتِ المختلفةِ (2) ، فبمقدارِ ما يرى الشاعرُ مكانَهُ جميلاً حتى أنّ الريحَ إذا مرّت بها (كريهَةً) تحولت بفضلِ المكانِ إلى ريحٍ طيبةٍ (بطيبِ النشْرِ) عند مرورها ، فكانتُ منازلُ الديارِ محكومةً شعرياً بالفكرةِ والفعلِ ولها تأثيرها

(1) سورة الرحمن/ آية 76.

(2) ينظر: -جماليات المكان في ثلاثية حنامينه، (حكاية بخار، الدقل، المرفأ البعيد) ، مهدي عبيدي ،

وزارة الثقافة ، الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق ، 2011م ، ص26

المباشر عليه ، فكانت حقيقةً أثرت على ذاته ، وهي ليست أمكنةً فارغةً غير مؤثثة ، فهي المساكن الطبيعية التي تمثل مركز السلطة كيفما كان نوعها ، وهي بؤرة التفاعلات والأحداث بشتى أنواعها، وهذه (المنازل-الأمكنة) حفرث لدى الشاعر آثارًا عميقة في ذاته الشعرية والإنسانية وبها ظهرت خبايا نفسه الإنسانية ، فاستحضاره للمكان قد فعل فعله المباشر في الذات دون واسطة ، فالشاعر ارتفع بالمنازل من مجرد حيز جغرافي جامد إلى حيز لغوي ينبض بالحياة والحركة والتفاعل الإنساني النفسي .

ويستحضر الشاعر في حالة شعرية تعويله على المكان لتحقيق غاية شعرية منجزة في نفسه متكئا على مكان خاص ، يقول (1) :

سقى الله دوح العوطتين ولا ارتوى	من الموصل الحدباء إلا قبورها
فيا صاحبي نجواي بالله خبرا	رهين صبابات عسير يسيرها
أمن مرج مادث قدود غصونها	ببهجتها أم أطربتها طيورها
خليبي إن البين أفنى مدامعي	فهل لكما من عبرة أستعيرها
لقد أنسيت نفسي المسرات بعدكم	فإن عاد عيد الوصل عاد سرورها
على أن لي تحت الجوانح غلة	إذا جادها دمغ تلظى سعيها
وأصعب ما يلقى المحب من الهوى	تداني النوى من خلة لايزورها

يدخل القبر ضمن خصوصية الوصف والموضوع بالنسبة للمكان عند الشاعر، فهو مكان خاص ، وثابت ، إذ يدعو للميت بالسقية (سقى الله...)

(1) الديوان/ص16

ووظفَ (الغوطة) بصيغة المثى جمعاً للبساتين الشرقية والغربية لدمشق فهي من الأماكن المحببة لنفسه ، لجمال طبيعتها وحسن مناظرها ، فكانت (الغوطة والقبر) مرتكزين لتوظيف المكان داخل النص الشعري لاستثمارهما في إيصال غايته الشعرية منادياً أصحابه بأن دموعه نارٌ تظلى حتى تتحقق أمنيته لبلاده وتعود إلى سابق عهدها بالخضرة وطرب طيورها ، فالمكان بالنسبة للشاعر يعود إلى قيمته الاجتماعية التي يرتبط بها ويحمل معها الشحنات العاطفية التي تصاحبه أينما وجد ، فلامسة المكان هنا هي ملامسة شعور الشاعر بجماله التي تربطه ارتباط وجود وانتماء وهوية حتى وإن كان مكاناً خاصاً ، فالشاعر من خلال المكان ( يتحول إلى جملة من الأحاسيس والمشاعر التي ربما يثيرها المكان بمحمولاته التذكيرية ، التي لها صلة بالذات في لحظة من لحظاتها السالفة )<sup>(1)</sup> وبذلك يحال المكان (الغوطة / القبر) من الوجود الفعلي إلى الوجود المتصور في أعماق الذات ، فليس الغرض من وراء عرض المكان هو الموضوع الجمالي فحسب ، بل جعله محولاً يمكن ذات الشاعر من التقاط الأحاسيس والمشاعر ، مما يندرج ضمن بنية للنص الشعري وكأن الشاعر يحاور المكان هنا بصور التحول والفناء ، التحول إلى الخضرة والابتهاج ، ثم الفناء والموت بصورة (القبر) الذي هو المأوى الأخير ، وكأن الدنيا تذكره دوماً بالزوال ، لكن الفطرة البشرية في حب المكان ملازمة لوعي الشاعر على الرغم من إدراكه بحتمية الموت في النهاية ، أما قول الشاعر (خليلي) بصيغة المثى ، فقد كان في العرف العربي سابقاً أن الركب أكثر من اثنين ، وأن الشاعر أجرى خطاب الواحد لأكثر من اثنين تعظيماً للأمر ، وتقليلاً للتكرار (خليلي خليلي) وتوكيداً للنداء والخطاب ، منادياً الصاحب الخالص الصافي المحبة والود ، فيتحسر الشاعر ويتألم وينسى المسرات بعد فراق الأصحاب والمكان ، ويعودتهم يعود السرور والفرح إلى قلبه ، فالشاعر عندما عوّل على المكان الخاص في نفسه

(1) فلسفة المكان في الشعر العربي - قراءة موضوعاتية جمالية / ص 131.

تحوّل النصّ ليصبح مرئياً بالدرجة الأساس لإنتاج الشفرة الدلالية ، إذ استفاد ( ابن عنين ) من إمكانياته التصويرية بترحيلها إلى ارض الواقع ملبيةً طموح المتلقيّ وحاجته للتعرف على المكان حتى وإن لم يره ، وللموصل وقعٌ أثيرٌ في نفس الشاعر بها يستأثر اللذة الجمالية ويبقى نضهُ الشعريّ شامخاً بذكرها ثم يبدأ بتضييق مكانه بـ ( قبورها ) وهنا المكان يبدأ عنده بـ ( المسافة الممتدة والمتناهية لتناهي الجسم )<sup>(1)</sup> فهو إدراكٌ جديدٌ للمكان عند الشاعر بتخصيصه السقية لـ ( قبور ) أهل الموصل فغيّر الزاوية التي نظرَ منها للمحيط المكانيّ وركز الرؤية على ( القبور ) تشخيصاً عامّاً لكل المدينة ، وكأنّ السقية صارت مخصصةً على القبور فقط بتقديمه المكان المخصوص وتصويره مع ما يتناسب ورؤيته لأولوياته ليدرك الآخرين أهميته ، ثم يعودُ مُنادياً ( صاحبيه ) الملازمين له بأن شوقه / حنينه محبوبٌ للموصل حتى يعودَ إليها ، فهو المكان المرجو الرجوع إليه ، المكان المأهول في قلبه وخياله ، سهلٌ صعبها ، لينةٌ جوانبها ، شاكياً لـ ( خليليه ) أن البُعد والفرقة قد قضت عليه وأفنت مدامعه ، راجياً منهم المساعدة والعطف فتظهرُ معاناته مع المكان والاشتياق ، فدائرةُ الزمان تدورُ به ويطحنهُ الشوق ، مؤكداً بـ ( قد ) التحقيقية مصحوباً بالفعل ( أنسيت ) مصرّاً على ضياع نفسه بعد الهجر والفراق ، وانصهار نفسه المتصاعدة ، فالحسرة والشوق ( البين أفنى مدامعي ، أنسيت نفسي ) يُغطيان على المسافة التي بينه وبين ( الموصل / المكان ) فإن عاد إليها عادَ له السرور والفرح متناسياً كلَّ ما كان ، عائداً للزمن الذي سبقه ، فهي حاضرةٌ في خياله ، مستقرة في جوانجه ، ( على أنّ لي تحت الجوانح غلة ) فأضلاعه القصيرة في صدره تحملُ الشوق الكبير على الرغم من صغرها فهي مكانٌ داخل فضاء الجسم فقد أشرفت على الهلاك من شدة الحنين ، فكانت البواعث النفسية أشدَّ وقعاً عليه ، مستكملاً مُنجزه الإبداعي بـ ( تحت ) التي أشارَ بها إلى جزءٍ من المكان داخل الجسم كلة

(1) نظرية المكان في فلسفة ابن سينا ، حسن مجيد العبيدي ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، وزارة

الثقافة والإعلام ، ط 1 ، 1987 م ، ص 27

، مشبهاً العطشَ في الجوانح بالشوقِ والحنينِ للقاءِ المكانِ ولاسيما إذا ارتبطَ معها نزولُ الدموعِ وذرفها عندَ التذكُرِ ، فهي تشوُّرُ كالبركانِ داخله كالماءِ ساقه الشوقُ لها ، فتستقرُّ الشكوى من البُعدِ في وعيه ، فكانت محورَ معاناته وهي نابعةٌ من نفسٍ متعبةٍ ، متوجعةٍ ، متوجهةٍ إلى أصحابه ليُعينوه على التحملِ والصبرِ ، فهنا جاذبيةُ المكانِ ( تنبعُ من قوةٍ جماليةٍ تولدُها الصورةُ واللغةُ وكلُّ ما يثيره النصُّ الشعريُّ لتحريكِ المؤثراتِ الفعالةِ داخلِ المُنجزِ الشعريِّ وللتدليلِ على الجاذبيةِ الفنيةِ لها ) (1) فهو يتحولُ من حالةِ الاغترابِ ببعده عن المكانِ إلى حالةِ التوافقِ والتلاؤمِ عندَ التذكُرِ ، كأن جاذبية المكانِ تتسيه ما فيه ، أو يتناسأها عامداً متأملاً العودَةَ القريبَةَ ساعةَ إنشادهِ النصِّ وهو بعيد عنها ، فهذا التحولُ النفسيُّ والمتخيُّلُ لأجزاءِ المكانِ المتنوعِ من ( الموصل / القبور / تحت الجوانح ) سعى فيها لردمِ الهوةِ بينه وبين البُعدِ الحاصلِ في الواقعِ مما ساعده على إنتاجِ دلالاتٍ شعريةٍ تحملُ أبعاداً تصويريةً صادمةً للمتلقي ، ومن ثمَّ تشدُّ انتباهه .

ويخصُّ الشاعرُ المكانَ في موضعٍ آخرَ وصفاً وموضوعاً ، إذ يقول(2):-

أبقيت في كبدي عليك حزارةً      تبدو لأهل الحشر يوم معادي  
فسقى ضريحك كل دانٍ مسبلٍ      متواتر الإبراقِ والإرعاد  
حتى ترى عرصات قبرك روضةً      مؤشائيةً كوشائعِ الأبراد  
فلقد مضيت وما كسبت خطيئةً      وتركت دار بليئةٍ وفسادٍ

(1) الفكر الجمالي عند شعراء الحداثة المعاصرين ، د. عصام شرته ، دار أمانة للنشر والتوزيع ، المملكة الأردنية الهاشمية ، 2018 ، ص 83

(2) الديوان/ص64

## وسكنت داراً ملكها لك خالدٌ وتركت داراً ملكها لنفاد

تنهض القصيدة على منظومة من الأفعال ذات سياقٍ حركيٍّ (أُقيت) ثم ينتقل إلى أخرى (فسقى) ثم (سكنت) ففيها يستكمل بناء الصورة الشعرية المكوّنة بـ (المكان) التي لامس فيها الواقع وجسده، وهذه الأفعال جاءت للإخبار ودلت على ثبوت الدلالة واتحادهما، وكأنّ الشاعر يُجري حوارًا مع (ضريح الميت) وهي حركة تحويلية ترتقي بالجامد (الضريح) إلى (الحي) لغاية تعبيرية، فبرؤيته للضريح أدرك أنّه لا يستطيع أن يبرح المكان، فهو يحتويه في الحياة والممات، فيتوهج المكان هنا عند الشاعر (الضريح، القبر، روضة، داراً) فكانت القضية المركزية للنص، إذ حولها من المكان العادي المؤلم المخيف إلى المكان الفني الذي يستأثر باللذة الجمالية واختزلت نشاطه الإبداعي النفسي واتسمت بالديمومة، وذلك بتحويله (الضريح والقبر) إلى (الدار) الذي يحمل صفة الألفة والدفء وتبرز فيها الحماية والطمأنينة وكأنّه المكان الملائم الذي تكون فيه حركة الحياة متسقة، جاعلاً من القبر داراً، ملكها خالدٌ، نافياً عنها صفة الدنيوية (تركت داراً ملكها النفاد) محولاً (عرصات قبره) إلى (روضة) إذ حول المكان الخاص المخيف الضيق المفارق لأحباب إلى المكان العام الفسيح الذي يحتضن التفاعل بين الأنا والعالم بالروضة مشرّكاً الخاص (القبر) بالعام (الروضة) بوجود الحيز الذي يشغل المكانين (الأجسام) فالقبر مكان خاص لوجود (جسم الميت فيه) والروضة الأرض ذات الخضرة والبهجة والبستان الحسن الجميل الذي يحوي عددًا من الأجسام ويرويه الغيث غير المنقطع عنه (متواتر الأبراق والارعاد)، جاعلاً من قبره روضةً نافياً عنها الوحشة والغربة، مشبهاً القبر بالروضة والخشبة التي يلف عليها ألوان (الغزل) (كوشائع) إظهارًا للجمال بدل الوحشة، فبرحيله ترك الدنيا وملذاتها ومفاسدها وتحول إلى دار ملك خالد ليس له نفاد.

وبرؤية الشاعر لقبر الميت وضريحه وهو محب له ، كانت هناك تأثيرات نفسية للمكان عليه ، حاول إخراج نفسه من ذلك الكبت والحزن إلى مكان عام تفرج النفس برؤيته ، فكان الانزياح والتحول عن المكان الواقعي إلى مكان متخيل له تشكيل آخر في النص ، فبدلاً من ضيق المكان (القبر والضريح) الذي ترتب على رؤيته أمور شتى معقدة وحزينة ، وسع الشاعر ذلك المكان وأخرجه إلى غير دلالته ، فكان للمكان سطوة على الإنسان/الشاعر ، إذ انغمس داخله ، وتسالت إلى أعماقه أصداء (المرثي) الذي أراد الخروج عنه وإزاحة الهموم عن صدره ، فظهرت شعريته المكان عنده على وفق إنتاجه للصورة الشعرية التي أراد بيانها للمتلقي ، فتضاعفت قدرته الشعرية وتعمقت حتى اكتمل مقطعه الشعري ، بوصفه القبر أولاً ، ثم تأثيثه بالروضة ثانياً ، ثم سكنه دار الدنيا ثالثاً وهي فانية وانتقاله بعد ذلك إلى دار الآخرة وهي الباقية ، إذ جعل من خصوصية المكان (القبر) بداية حياة الروح للمرثي في عالم الخلود .

وفي انتقالنا إلى نص آخر لابن عنين حول خصوصية وصفه للمكان والموضوع يقول (1): -

أتمناهم وهيئات أقصى الـ	دهر عنهم داري وشط مزارى
غير أنى أطوف في طلب الرز	ق كأي كلفت مسح البرارى
ومحال قولي لنفسى عزاء	سرعة السير عادة الأعمار
لو يخلى القطا لنام ولو خل	يت لم أرم عن وجارى وجارى
ولو إنى خيئت في هذه الدنا	يا لما أخترت غير قومي ودادي

(1) الديوان ص 76

هنا تبرزُ خصوصيةُ الوصفِ والموضوعِ بذكرِ الشاعرِ (داري) أولاً ، ثم انتهائه بـ (داري) فهو يحنُّ إلى (دمشق) التي فيها دارُهُ ويحنُّ بالعودةِ إليها ، فقد تركها مُرغماً لطلبِ الرزقِ وصارَ يطوفُ بالبراري بحثاً عنه ، فهو وإنَّ خَيْرَ في الدنيا لم يَحْتَرِ غيرَ (قومه وداره) موظفاً تقنيةَ الجنسِ بين (وجاري) و (جاري) فالأولُ المسكنُ والثاني الجارُ وكلاهما له ارتباطٌ نفسيٌّ وروحيٌّ مع الشاعرِ ، فكان للجناسِ وقعٌ كبيرٌ في رسمِ الصورةِ الشعريةِ للمكانِ وإثارةِ إعجابِ المتلقي وإثارةِ انفعاله لاسيما إن الشاعرَ أمامَ هذا الضغطِ النفسيِّ الكثيفِ وهو يتذكرُ المكانَ ويتشوقُ إليه فتعودُ لغنثه الشعريةُ إلى الانفتاحِ لتساعدهُ على إنجازِ ما تتبغيه الذاتُ فكان للجناسِ ذلكَ المستوى العميقِ لتشابهِ الكلمتين على مستوى الصياغةِ والصوتِ واختلافهما على مستوى الدلالةِ ووقعَ على عاتقِ المتلقي إنتاجُ الدلالةِ المرجوةِ ذلكَ أن (اللفظَ المشتركَ إذا حُمِلَ على معنى ثمَّ جاء والمرادُ به معنى آخرُ كان للنفسِ تشوقٌ إليه)<sup>(1)</sup> فهو (يتمناهم) ويتحسّرُ عليهم (وهيهات) ويراه بعيدَ المنالِ ؛ لكنّه مع ذلكَ لن يتخلى عنهم (لم أرم عن وجاري وجاري)، و (داره، وجاره) فهي أماكنٌ تدلُّ عندهُ على الحياةِ وحركتها الدائمةِ ، فمهما طالَت الرحلةُ والحركةُ عندهُ لكتّه لا ينساهم، فذكره تمنحهُ دوماً الحياةَ الجديدةَ وتفاعلاً مع عالمه الخارجي ، فالبيتُ/ المكان، هو الركنُ الأهمُّ في حياةِ الإنسانِ وهو بدونه كائنٌ مفتتٌ وله قيمةٌ معرفيةٌ كبيرةٌ ، فكان المكانُ الشعريُّ ممثلاً كاملاً عن خصوصيتهِ وموضوعه وقد انطوتْ على تشكيلِ شعريِّ متكاملٍ يرسمُه الشاعرُ مبيئاً للمتلقي أهميةَ المكانِ للذاتِ الإنسانيةِ ، فحنينُه إلى موطنه الأصليِّ (دمشق) لتنشأَ عندهُ حالةٌ ذهنيةٌ للحنينِ بسببِ انقطاعه عنه فظلاً ينشدها في شعره ويتطلعُ للرجوعِ إليها مستعيناً بذكرياتِ الماضي ، فقد أرقتهُ الغربةُ ونغصتْ عليه حياته ، وقد امتلأتْ أحشاؤه بالشوقِ إليها ، والعودةُ لها لعلّها تداوي علةَ حنينه وتُطفئَ نارَ شوقه ، وتوقانَ نفسه لرؤيةِ (دمشق) التي أفصحَ بها عمّا في

(1) البلاغة العربية، قراءة أخرى، د. محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية للنشر، لو نجمان،

ذاتِه ومعاناتِها بسببِ البعدِ المكانيِّ ، فكانتْ أمنيئُته (أتمناهم) رمزاً للانتماءِ المكانيِّ ، كما كانتْ أمكنئُته مسرحاً لأحداثِه ، ويستمدُّ الشاعرُ الديمومةَ من قُربِ أملهِ بالعودةِ إلى قومِه وديارِه فكانتْ الأمكنةُ المدخلَ الأكثرَ قُرباً الذي أسسَ عليه رؤيئُته الفنيَّةَ لتكونَ شاهداً عليه .

## 2/ المكان (من المجهول إلى المعلوم): -

إنَّ المكانَ عندَ الشاعرِ (ابن عنين) ينبضُ بالحياةِ ، فالمكانُ الذي يسكنُهُ الشخصُ مرآةٌ لطباعِه ، وهو يعكسُ حقيقةَ الشخصيةِ ، ومن جانبِ آخرٍ فإنَّ حياةَ الشخصيةِ تفسِّرُها طبيعةُ المكانِ الذي يرتبطُ به ، فالمكانُ الجديرُ بالاهتمامِ هو المكانُ المقبوضُ عليه بواسطةِ الخيالِ ؛ لأنه مكانٌ متعددُ الأبعادِ ، مثيرةٌ بدورها لخيالِ القارئِ والمشاعرِ المختلفةِ<sup>(1)</sup> ، فنجدُ أحياناً (المكانَ الموحِي)<sup>(2)</sup> فهو يُظهرُ نفسَهُ ويحدثنا بدلاً عن أن نتحدث عنه ، فالمكانُ لن يكونَ موحياً إذا استسلمَ الشاعرُ إلى صفاتِه الموضوعيةِ ؛ لكنَّه يكونُ أكثرَ تأثيراً وتعبيراً وأصدقَ خيالاً إذا وضعَهُ موضعاً نفسياً فنياً ليميزه عن الأمكنةِ الأخرى لتدخلَ ضمنَ جمالياتِه ، وعمليةُ الانتقالِ من مكانٍ مجهولٍ إلى معلومٍ لها تأثيرٌ كبيرٌ في النفسِ وتكوينٍ في الخيالِ ، ونجدُ ابنَ عنين في ذلك يقول<sup>(3)</sup>: -

تركناهم في البحر والبر لُحمةً تقاسمهم حيتانُهم وذئابُهم

ويوماً على القيمون ماجت متوئنه بزرق أعاديه وغصت شعابه

نثرنا على الوادي رؤوساً أعزّة لكل أخي بأسٍ منيعٍ جنابُه

ورضنا ملوك الأرض بالبيض والقنا خذلّ لنا من كل قطرٍ صعايبُه

(1) ينظر: - بلاغة المكان/ ص244

(2) م.ن: - ص244

(3)الديوان: - ص20-21

## فكم أمرِدِ خطَّ الحسامِ عذاره وكم أشيبُ كان النجيع خضابُه

ذكرَ ابنُ عنين أمكنةً مجهولةً الدلالةَ غيرَ معلومةٍ (البر والبحر) ثم انتقلَ وتحوَّلَ إلى التخصيصِ بالدلالةِ عندما ذكرَ (القيمون) فيعدُّ المكانَ في النصِّ الشعريِّ مفتاحًا من مفاتيحِ إستراتيجيةِ قراءةِ النصِّ الشعريِّ ، فهي المنطقَةُ المشعةُ في القصيدةِ والتي يُلجُّ منها المتلقي إلى تضاريسِ النصِّ الشعريِّ لاستنطاقه وإخراجِ مكنوناته ، واستكشافِ جمالياته ؛ إذ ذكرَ (ابنُ عنين) أمكنةً مجهولةً الدلالةَ / غيرَ معلومةِ الحدودِ ثم انتقلَ إلى التخصيصِ بالدلالةِ فهو حصنٌ مشهورٌ قربَ الرملةِ بفلسطين<sup>(1)</sup>، فالشاعرُ هنا يفخرُ بانتصارِ العربِ المسلمينِ على الفرنجِ فيها ، وصارَ مكانَ عزٍّ وفخرٍ لهم ، فكانتْ آثارُها النفسيةُ لها الوقعُ الكبيرُ في نفوسِ الجنودِ ، ونصُّه الشعريُّ هذا جزءٌ من الواقعِ وانعكاسٌ له ، وتصويرٌ لبعضِ جوانبه كـ (نثر رؤوس الأعداء) بالسيوف (البيض) ونثر الدماء (القنا) في كلِّ أنحاءِ الوادي ، فصارتْ رقابُهم ذليلةً لهم وتكشفتْ الصعابُ أمامهم ، والشاعرُ يضعُ نفسه بينَ جنودِ الجيشِ (تركناهم) بدلالةِ الفعلِ الماضي الذي أكدَّ به حتميةَ الانتصارِ والفخرِ به كنايةً عن كثرةِ الدماءِ وكثرةِ القتلِ والقتالِ (فالفعلُ الماضي) يُوجي بحركةِ فائقةِ السرعةِ تخترقُ صفوفَ الأعداءِ ، وفي الوقتِ نفسه استجابَ الفعلُ لفضاءِ الشاعرِ النفسيِّ وعالمِهِ الإبداعيِّ ليرضي قريحتهُ الشعريةَ ، فبالمكانِ ظهرتْ أهميةُ الخطابِ الشعريِّ لتعابُننا المشهدَ المثيرَ للحربِ لتعملَ على تحريكِ المنظومةِ الفعليةِ الكاشفةِ عن التأثيرِ النفسيِّ للمكانِ ، فالحاحُ الشاعرِ على (القيمون) كان مثيرًا ، فهو الإطارُ الذي وقعتْ فيه الأحداثُ ، وانتقلَ الشاعرُ هنا من المجهولِ إلى المعلومِ ولعلَّ يَكرِّرُ جزئياتِ

(1) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت748هـ)، تحقيق: - عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2،

المكان بمثابة التغذية للموضوع ففيه أظهر قيمة المكان فهو الوعاء العام الذي استحضّر به الحدث (المعركة) فكانت سرّ سعادتهم ، فقد حفّز بها ذهن المتلقي ، فهو نصّ تسيطر عليه أجواء الحرب والحماسة فشكّل الشاعر بـ (القيمون/المكان) هويةً للتعاون الجماعيّ ، فصار يثير الذكرى عند المتلقي كونه أوجد العناصر الملموسة والمرئية للمعركة باعتباره مسرحاً للأحداث .

وفي انتقالنا إلى نصّ آخر للشاعر بتحويله المكان من المجهول إلى المعلوم ، إذ يذكر الوادي المجهول ثم يبدأ بتجليته بـ (القاسيون)، يقول (1) :-

ويا حبذا الوادي إذا ما تدفّقت جداول باناسٍ إليه تسيل

وفي كبدي من قاسيون حزازة تزول رواسيه وليس تزول

إذا لاح برق من سنير تدافقت لسحب جفوني في الخدود سيول

فلله أيامي وغصن الصبابها وريق وإذ وجه الزمان صقيل

هي الغرض الأقصى وإن لم يكن بها صديق ولم يُصِفِ الوداد خليل

المكان مكوّن أساسي في بنية هذا النصّ الشعريّ ، إذ افتتح نصّه بالفعل (حبذا) وهو أسلوب مدحيّ استخدمه مع غير العاقل (الوادي) بادئاً بالنداء بـ ( يا ) ليُنزّل الوادي البعيد منزلةً القريب ، فصار المكان/الطلّ هنا شامخاً ، فقد بدأ بالمكان الوادي فوق متاهباً أمامه ، متعلقاً بذكرياته الماضية ، ينقلها إلينا تفصيلاً ، فهي وقفة تملأ النفس حزناً وشجناً ، فيعطي تصويراً شعرياً بصرياً للمتلقي عن الوادي الذي تسيل إليه فروع وجداول أنهار دمشق وفيها نهْر (باناس) أو (بانياس) وهو من أجمل أنهار دمشق ، ثم ينتقل إلى ذكر (قاسيون)

(1) الديوان/ص70

الجبل المشرف على دمشق ، إذ ملأها الشاعر روحًا وحياءً ، وقد أصابهُ وجعٌ وغَيْظٌ وحرقةٌ وهو يحنُّ إلى دمشق ومعالمها (حزاةً) وهو ألمٌ شديدٌ يعانیه في بلاد الغربية ، (فاسمُ المكان يدلُّ على مسماه ، ويوحى إلى ماهيته ، ويمكن المتلقي من الولوج إلى عالم المكان الداخلي)<sup>(1)</sup> ثم ينتقلُ إلى مكانٍ معلومٍ آخر (سنير) وهو من جبال دمشق ، فيعطي تصويرًا شعريًا بصريًا لذلك الموقف الذي يراه بعينه وهو بعيدٌ عنه ، إذ يشبه الشاعر البرقَ والمطرَ في (سنير) بنفسه عندما يُعاینُ ذلك الموقفِ ، وتبدأ عيونُه بالبكاءِ وتسيلُ على خدوده الدموعُ ، فالصورةُ الانفعاليةُ صورتُ ألمِ الشاعرِ وحالتهُ الوجدانيةُ المرتبطةُ بالمكان الشعريِّ ، فكانتُ عينُ الشاعرِ لها الاحتكاكُ المباشرُ بالحنينِ والمكانِ ، وكان للتشبيهِ البليغِ دورٌ كبيرٌ في إبرازِ أهميةِ المكانِ للإنسانِ / الشاعرِ وهو ينقلُ تلكَ الصورةَ وحقيقتَ بُعدها النفسيِّ لتلائمَ وتتفاعلَ مع حالةِ الخطابِ وغرضِهِ النفسيِّ ، وقد أرادَ الشاعرُ من هذا التصويرِ تقريبَ مدى حنينه إلى دمشق ونقلِ تجربتهِ إلى مسامعِ غيره ، وذلك نتيجةً للروابطِ الخفيةِ للمكانِ وهي التي أضاءتها وكشفتها ، فهو حوارٌ ليجمعَ شتاتَه ، فبذكره لمجهولٍ بدايةً ، انتقل إلى إجلائه بالمعالمِ (باناس، قاسيون، سنير) بصورةٍ حسيةٍ نابضةٍ بالحيويةِ والحياةِ والحركةِ لنرى مدى انتمائه العميقِ لموطنِهِ الروحيِ لمكانِهِ قافرًا إلى تقنيةِ التشبيهِ مرةً أخرى في (وجه الزمان) ف (الانكفاءُ على الأدواتِ البلاغيةِ في تحقيقِ بلاغةِ المكانِ في صورهِ المختلفةِ يسمحُ بتلمسِ لذةِ المتخيلِ على الصعيدِ المكاني)<sup>(2)</sup> ليُخرجَ الصورةَ عن الجمودِ إلى الحركةِ ، مشبهًا الزمانَ بتعابيرِ الوجهِ عند الشوقِ والحنينِ ، فالمبتغى العودُ إلى دمشق (هي الغرضُ الأقصى) حتى وإن خَلَّتْ من

(1) المكان والمنظور الفني في روايات عبد الرحمن منيف، مرشد احمد، دار القلم العربي، حلب -

سورية، ط1، 1418هـ/1998م، ص41

(2) شعرية المكان في الرواية الجديدة - الخطاب الروائي لإدوار الخراط نموذجاً، خالد حسين حسين،

مؤسسة اليمامة الصحفية، 1431هـ، ص389

ساكنيها والأحبة (وإن لم يكن بها صديق) فبرزت قيمة المكان هنا ممثلةً بشكلٍ كاملٍ ببناء الشاعر وصيحاته .

وبانتقالنا إلى نصٍّ آخرٍ يُخرجنا به الشاعر من المجهولِ إلى المعلومِ يقول :

(1): -

وكم قيل لي في ساحة الأرض مذهبٌ وعن وطنٍ للنفس ميلٌ إلى وطنٍ

وهل نأفئ أن البلاد كثيرةٌ أطوفُ بها والقلبُ بالشامِ مرتَهِنٌ

وما كنت بالراضي بصنعاءٍ منزلاً ولو نلتُ من غمدانِ ملكِ ابنِ ذي يزنٍ

عسى عطفةٌ بدريةٌ تعكسُ النوى فألفى قرييرِ العينِ بالأهلِ والوطنِ

يلجُ الشاعرُ إلى المجهولِ بـ (كم) الاستفهاميةِ مرتكزاً على المكانِ (ساحة الأرض) ليقدمَ لنا صورةً عن مدى اشتياقه لـ (دمشق) متحرراً من مجهوليةِ المكانِ إلى معلوميتهِ ؛ إذ تتحرر ذاته وتتوقُّ إلى أجملِ بقاعِ الأرضِ عنده ، فيحشدُ الشاعرُ كل إمكاناته وطاقاته على صعيدِ المكانِ ، فمكانه يمتازُ بالوضوح والإدراكِ الحسيِّ من جانبٍ ، ومن جانبٍ آخرٍ يتوارى ويتعالى ويتركزُ للانتقالِ من المجهولِ إلى المعلومِ على الصعيدِ الدلاليِّ ، فعلاقةُ الشاعرِ بالمكانِ تتسمُ بكثافةٍ شعريةٍ تبدأ بصرخةِ الحنينِ إليه ، ومنه تنبثقُ كينونتهُ الإنسانيةُ ومن تلك اللحظة تنسجُ علاقته مع المكانِ وتبدأ فاعليتها بالنمو معها ، ونلاحظُ توظيفَ الشاعرِ لـ (هل) الاستفهاميةِ ، فقد وجدَ الشاعرُ فيها متنفساً عمّا يختلجُ بداخله ، محاولاً إشراكِ المتلقي بانفعالاته ، فأدواتِ الاستفهامِ جاءتْ لطلبِ التصديقِ فصارتْ له القدرةُ على إظهارِ براعةِ الشاعرِ ، وهي وإن كانتْ كذلكَ لكنها لم تكنْ تنتظرُ إجابةً من المتلقي ، لأنه قررَ أنها أجملُ بقاعِ الأرضِ ، ثم يعودُ نافيئاً

(وما كنتُ بالراضي) موظفًا أمكنة (صنعاء، غمدان) ليثبتَ للمتلقي أَنَّهُ يحنُّ إلى دمشقَ ويشتاقُ إليها مهما علا مكانُهُ وكثُرَ مألُهُ (ولو نلت من غمدان ملك ابن ذي يزن) موظفًا شخصيةً تاريخيةً غنيةً معروفةً في التاريخ؛ إذ (يستحيلها وسيلة فنية تصورُ بعضَ تفاصيلِ واقعه وأداةً للتعبيرِ عن مواقفه من الآخرين في محيطه بإسقاطِ بعضِ خواصِّ الذاتِ الموروثةِ على الآخرِ المعاصرِ إشباعًا لرغبةٍ كامنةٍ في نفسه وتحقيقًا لوظائفِ جماليةٍ وإرادةٍ فنيةٍ عارمةٍ بتقديمِ واقعِ تاريخيٍّ في حيزِ شعريٍّ محددٍ يُعبِّرُ عن طموحِ ذاتيٍّ دافعهُ بيانُ انتماءِ التجربةِ الجديدةِ إلى ماضيها ورموزهِ الاجتماعيةِ الفاعلةِ، فضلاً عن التقربِ من الآخرِ من خلالِ القولِ الشعريِّ)<sup>(1)</sup> وهو يثبتُ بذلكَ أحيتهُ بالعودةِ إلى ديارِ أهلهِ، فالخارطةُ الشعريةُ التي يرسمُها الشاعرُ تبينُ لنا مدى تداخلِ ذاتهِ مع المكانِ في تجربتهِ الشعريةِ، فكان حسُّ المكانِ عنده أصيلاً وعميقاً في وجدانه؛ لأنَّ (دمشق) عنده مكانُ الألفةِ والانتماءِ، خاتمةً بالتمني (عسى) متوقعا حصولَ مبتغاه، فهي أمنيتهُ ففيها لقاءُ الأهلِ والأحبةِ داخلِ الوطنِ مهما طالَ الزمنُ أو قُرْبُ، مطلقاً القصيدةَ بالقافيةِ المقيدةِ دلالةً على الهدوءِ والاطمئنانِ لرجائه بالعودةِ القريبةِ والاستقرارِ النفسيِّ، فكان للمكانِ دورهُ الكبيرُ في إطلاقِ مخيلتهِ نحوَ رسمِ صورهِ الشعريةِ، وللتزامِ الدلاليِ لنصهِ دورٌ في إثباتِ مدى جدارةِ المكانِ وفاعليتهِ في النصِّ الشعريِّ.

### 3/ المكان (الشمولية والتأثير): -

إن المكانَ عندَ الشاعرِ ليس موضوعاً فحسب بل هي حقيقةٌ نفسيةٌ، وهو ليس كياناً مادياً مجرداً، إنما هو عنصرٌ فنيٌّ مكتنزٌ بالقيمِ والأفكارِ، (يحاكي صور الأشياءِ في الواقعِ، وقد يفوق الواقعَ بالمعنى والرمزِ والدلالةِ

(1) التتاص في شعر صفي الدين الحلي (ت750هـ)، مقدار خليل قاسم الخاتوني، أطروحة دكتوراه، بإشراف أ.م. د. يونس سلوم البجاري، جامعة الموصل، كلية الآداب، 1433هـ-2012م/ ص164-165.

باطار التركيب المجازي له داخل القصيدة أو النص الشعري<sup>(1)</sup>، إذ إن الشاعر يهتم بالمكان لإيضاح مقاصده، فتنبثق منها صورة كما لو كانت قطعة من ذاته، فالعلاقة بين توزيعات المكان من حيث الشمولية والتأثير تُكسب النص طابعاً تخيلياً شعرياً، فنجذ ابن عنين يقول<sup>(2)</sup>:-

فسقى دمشق وواديها والحمى متواصل الإرعاد منفضم العرى

حتى ترى وجه الرياض بعارض حتى ترى وجه الرياض بعارض

وأعاد أياماً مضين حميدة وأعاد أياماً مضين حميدة

تلك المنازل لا أعقته عالج تلك المنازل لا أعقته عالج

أرض إذا مرّت بها ريح الصبا حملت على الأغصان مسكاً أذخرا

حفريات المكان في النصوص الشعرية مختلفة حسب تأثيرها على الشاعر / الإنسان وتحديد نشاطه من فاعلية أو خمول، فهو يدعو لها بالسقوية وهو بعيد عنها، وذلك تأثير المكان، حتى يراه وقد انتشر الربيع فيه وتمتع الناظر إليه، فهنا تكمن قيمتها وجودتها، فهو يتذكر الأيام التي قضاها هناك، مؤثراً للمكان بكل جوانبه (الحرّة، عثرا، أعقة، وادي القرى) فعلاقته بالمكان ليست طارئة وهامشية وإنما هي في الصميم (إذ إن المكان مؤهل للكشف عن

(1) الزمان والمكان في شعر أبي الطيب المتنبي، د. حيدر لازم، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2010م-1431هـ/ص155.

(2) الديوان/ ص4

(3) الأعقة: -جمع عقيق والعقيق الوادي، عالج: -رمال بين فيد والقريات على طريق مكة، ينظر: - القاموس المحيط، الفيروز آبادي، رتبه ووثقه خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ط4، 1430هـ/2009م، 895.

لا وعي الشخصية وجوانبها النفسية والاجتماعية ؛ لأنه ببساطة لا معنى ولا دلالة للمكان بعيداً عن الإنسان الذي يقوم بتنظيمه (1) فكانت كل أمكنته هنا ثابتة ، وكان لمشهد المكان حضوراً في كل جوانب النص ، ثم يقحم الشاعر الزمن ( أعاد أياماً) داخل النص الشعري ؛ لأنّ المكان والزمان عنصران متلازمان لا يفترقان ، لكنّ المكان ثابت على عكس الزمن المتحرك وهو مع ثبوته واحتوائه للأشياء الحسية المستقرة فيه يُدرك إدراكاً مباشراً (2) ، ويوظف الشاعر تقنية التشخيص في توظيف المكان شعرياً (وجه الرياض) إذ انحرف إلى معنى جديد للزيادة بالمعنى الاستعاري فكان ( الوجه) المستعار ملائماً ل (الأرض) من جانب الدلالة الإيحائية وحركة نفسه الوجدانية وقيام التفاعل بينهما ، فهي الأرض / المكان الذي إذا مرث (ريح الصبا) بها تحمل ذلك المسك الزكي ، فليس المكان هو المعطى الخارجي المحايد ، إنما هو (الحياة) لا يحدّه الطول أو العرض أو المساحة فقط ، إنما له خاصية الشمول والتكامل ، والمعنى فيه لا يكتسب أبعاده القصوى إلا إذا استرفد واستخلصت منه محمولاته الدلالية .

ويؤطر الشاعر المكان ويؤثته في نصوصه الشعرية ، فنجدّه يقول (3) :-

عسى البارق الشامى يهمي سحابة	فتخضّل أثباج الحمى ورحابته
وتسري الصبا في جانبيه عليه	كما فتقت من حضرمي عيابه
خليبي مالي بالجزيرة لا أرى	للمياء طيفاً يزدهيني عتابه
فيا من لراج أن تبيت مغدّة	ببيداء دون الماطرون ركائبه
إذا جمل الريان لاحت قبابه	لعيني ولاحت من سنير هضابه

(1) شعرية المكان في الرواية الجديدة/ ص118.

(2) ينظر: - جماليات المكان في ثلاثية حنا مينه ، ص225.

(3) الديوان/ ص 19-20.

وهبت لنا ريح أتتنا من الحمى      تحدث عما حملتها قبائمه  
وقامت جبال الثلج زهراً كأنها      بقيئة شيب قد تلاشى خضابه  
ولاحث قصور الغوطين كأنها      سفائن في بحر يعب عبابه

يعدُّ المكانُ الموظفُ شعرياً عند (ابن عنين) المرتكزَ الأساسَ لموضوع القصيدة ، إذ يوظفه استكمالاً لمبتغاه الأساس في إيصال موضوعه للمتلقي ، ومن خلاله يمرُّ ما في خياله إلى الواقع ليعلن عن موضوعه ، ويعد المحرك في النصِّ وذا التأثير المباشر ، فكلُّ الأمكنة التي ذكرها الشاعر موجودة في الشام ، وهو يتشوق إليها مؤثماً لأركانها ، متذكراً جمالها ، بادئاً نصّه بالفعل الماضي (عسى) دلالةً على حتمية الوقوع وترجي الأمر المحبوب (البارق الشامي) لتخضراً أوساط (الحمى) وتزهو جوانبه ، ثم تعود ريح (الصبا) في جوانب (حماه) لتريح القلوب وتشفي العليل ، ويعود متسائلاً بعد طول غربة ، كيف لا يرى لحبيته التي رمز إليها ب (لمياء) وجوداً أو أثراً ، فالمكان ليس عاملاً طارئاً في حياة الإنسان أو الشاعر وإنما (معطى سيميوطيقي ، فالمكان لا يتوقف حضوره على المستوى الحسي ، وإنما يتغلغل عميقاً في الكائن الإنساني ، حافراً مسارات وأخاديد غائرة في مستويات الذات المختلفة ليصبح جزءاً صميمًا منها ؛ وذلك لأنَّ المكان هو الفسحة / الحيز الذي يحتضن عمليات التفاعل بين الأنا و العالم) (1) .

ويعود الشاعر في نقطةٍ صوريةٍ مكانيةٍ أخرى يؤثت لباقي أرجاء الشام (فيا من لراج ...) و (دون الماطرون...) وهي من جبال دمشق التي يحن إليها ، عاداً إياها من معالمها التي يشتاق إليها ، متحولاً إلى (جبل الريان) الذي

(1) شعرية المكان في الرواية الجديدة، ص60.

لاحث له معالمه كما لاحث جبال (السنير) معها ، فالتشكيل البصري هنا له الدور البارز في تقديم المكان بأسلوبية عالية في تشغيل خيالات الشاعر وأحاسيس المتلقي وترتيبها بإمكانية هندسية مؤثثة تعطي المجال الأرحب لفهم النص واستيعابه ، ونرى توظيف الشاعر للتشخيص (ريح اتتنا من الحمى... تحدث...) فهو ما يزال بعيداً عن موطنه ، يشناق إليه ، ذاكرة معالمه ، أمكنته ، دون أن يراه ، ثم تهب تلك الريح من جهتها لتحدثه عما حل بها ، فكان للتشخيص وقع نفسي عند الشاعر ، وفي الوقت نفسه التأثير المباشر على المتلقي ، وإثارة انفعاله فعنصر التخميم حاضر في النص بالتشخيص ، فكان المكان صديق صاحبه ، وساكنيه ، وتصل الألفة بينهما إلى حد المشاركة في عكس أفراح الشاعر أو أحزانه أو آلامه ، أو شوقه وحنينه ، فالمكان يتغلغل في أنحاء جسده ويستقر في صميم ذاته ، مشبهاً (جبال الثلج) بالزهور وكأنه إنسان قد تلاشى عمره ، وانتقل إلى مرحلة أخرى (بقية شيب قد تلاشى خضابه) وقد زالت أثار الحناء من الشيب ، كما زال البياض من (جبال الثلج) فكان تشبيهه أكثر إصابة وأرفع قدرًا وأبعد مجالاً في رحاب التخيل<sup>(1)</sup> كما وضع الشاعر لأداة التشبيه (كأنها) بعدها النفسي الخاص ، فهي التي توجي للمتلقي أن المشبه غير المشبه به مهما بلغت الصفات المشتركة بينهما ، فهاجس الإحاطة بالمكان وتأثيره هنا كان عتبة النص الشعري لابن عنين لها فاعليتها في الحضور الشعري بدل الغياب المطلق ، وينتقل إلى تأنيث آخر لبساتين دمشق والمزارع المحيطة بها (قصور الغوطتين) فيصور الشاعر وكأنه يراها عن بُعد (ولاحث) ويشبهاً بالسفن في (بحر) مطلق مجهول تسمع صوته عن بُعد (يعب عبابه) في منظر حسي طبيعي مؤثر في الشاعر والمتلقي ، فكانت بتأطير الشاعر العام للمكان / دمشق وتأنيثه الخاص لأركانها أو جوانبها - رابطاً بينهما بتقانات شعرية خادمة للنص - دلالة حققت لشعرية المكان وجودها تحقيقاً فعلياً .

(1) الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، د. مجيد عبد الحميد ناجي، وزارة الأوقاف العراقية، ط1،

1984، 1404هـ / ص192.

إنّ تفتيت البادية (الجزيرة) والحياة الاجتماعية واختزالها إلى ثيمات مكانية صغيرة ومحددة (جبل الريان ، هضابه ، الغوطتين ، قصور) ومن ثمّ توزيعها وإشراك الصحب في سؤالها (خليلي) يعني هيمنتها الثقافية ، فهي من السعة والغموض ما لا يمكن السيطرة عليه إلا بالكتابة عنها ، فالكتابة الشعرية فعل استجابة للهيمنة العقلية وإمكانية لفهم محدّد لما فيها بعد أن يضيف الشاعر إليها من عناصر الحياة اليومية ( لاحت ، هبت ، قامت...) فالمكان المتدرج المبنى على توالي / تتابع الأمكنة الصغيرة يشير إلى الكلية العقلية المفاهيمية للطبيعة<sup>(1)</sup> ، وإنّ العلاقة بين توزيعات المكان والبعد الاجتماعي تكسب طابعاً تخيلياً شعرياً .

ويرفدنا الشاعر بمكان آخر بذكر شموليته وتأثيره ، إذ يقول<sup>(2)</sup> :-

فيا أيها الملك المعظم دعوة	إليك لمطوي الضلوع على جمر
غريب إذا ما حلّ مصرأً أبا له	وشيك النوى إلا ارتحالاً إلى مصر
له غنية عن غيركم من قناعة	وأما إلى معروفكم فأخو فقير
أشقق قلب الشرق حتى كأنني	أفتش في سودائه عن سنا الفجر
فختام لا أنفك في ظهر سبب	أهجر أو في بطن دوية قفر

(1) ينظر: -مدخل إلى النقد المكاني، ياسين النصير، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، سورية - دمشق، 2015م - 1439هـ / ص48.

(2) الديوان / ص29.

إنَّ الشاعرَ وهو ينغمسُ داخلَ المكانِ تتسللُ إلى أعماقِهِ أصداءُ الماضي ،  
 ، موشوشةٌ أحاديثُها الغامضة<sup>(1)</sup> ، إذ توجدُ علاقةٌ انتماءٍ بين الشخصية /  
 الشاعرِ ، وبين المكانِ ومن خلال رابطةِ الانتماءِ تظهرُ تلكَ العلاقةُ ،  
 وبوساطتها يمكنُ تحديدَ أجواءِ الألفةِ ، فقوةُ انتماءِ الشخصيةِ تظلُّ على ارتباطِ  
 شديدٍ بالمكانِ حتى وإن هجرها ، أو عاشَ بداخلها ، وهنا يصفُ الشاعرُ المكانَ  
 ثم يؤثثه ( بالمعروف ) وهي قيمةٌ مجردةٌ ، ثم عاد إلى وصفِ الرحلةِ في  
 الصحراءِ ( ظهر السبب ) كنايةً عن الصحراءِ ، فهي تحضُرُ صفاتها داخلَ  
 الإنسانِ ومناخها القاسي يقتضي إرادةً قويةً تكافحُ دائماً من أجلِ استمرارِ العيشِ  
 ، وبهذا يفرضُ التعاملُ الواقعي ، فهي فضاءٌ مبهمٌ مجهولٌ يتحولُ بعدَ ذلك إلى  
 فضاءٍ معلومٍ ، فالفضاءُ أكبرُ من المكانِ وهو ينطوي عليه ويتشكلُ ويمتلئُ به ،  
 وهناك من يميزُ بينَ المكانِ بوصفه عنصرًا من عناصرِ الفضاءِ ، والفضاءُ  
 بوصفه الغلافَ الذي يشتملُ على معظمِ الأمكنةِ ، فالمكانُ ذو سمةٍ جزئيةٍ ، أما  
 الفضاءُ فيمتازُ بالشموليةِ والعموميةِ<sup>(2)</sup> ، ثم يتحولُ الارتحالُ من مكانٍ سلبيٍّ إلى  
 إيجابيٍّ ، وهو فعلٌ إراديٌّ قصديٌّ ( فأخو فقر ) إذ ارتحلَ بفقره عبرَ ( القفار ) إلى  
 أرضٍ مأهولةٍ بالمعروفِ وهي ( مصرُ ) ، ثم يصورُ نفسهُ بالرجلِ الذي لديه عزَّةُ  
 نفسٍ وعنده فناعتهُ ( له غنيةٌ ) لكنّه مع وجودِ ( الملكِ المعظم ) فقيرٌ ، وكانت  
 ( مصرُ ) تمثلُ خصوصيةً لساكنيها من حيثُ ألفتُهُ في خفايا النفوسِ ، فالعلاقةُ لا  
 تنشأُ بينَ المكانِ والإنسانِ إلا عبرَ المألَفةِ ، والمألَفةُ هي اختيارُ الأمكنةِ والتواريخِ  
 والشخصياتِ ( مصر ، سبب ، الشرق ، الملكِ المعظم ) والأحداثِ والأفكارِ  
 والأساليبِ ، وهذه تعني الموادَّ الأوليةَ للبناءِ ، ثم تأتلفُ فيما بينها لتكوينِ وحدةٍ  
 لفضائيةِ النصِّ<sup>(3)</sup> . فتفعيل الشاعرِ للمكانِ هو لإنتاجِ حالةٍ من التلاؤمِ بين  
 الوجودِ الخارجي والذاتِ .

(1) ينظر: -فلسفة المكان في الشعر العربي / ص35.

(2) ينظر: -شعرية المكان في الرواية الجديدة، ص81-82.

(3) ينظر: -مدخل إلى النقد المكاني، ص111.

\* \* \*

إنَّ المكانَ الواقعيَّ هو الذي يجعلُ الخبراتِ المكانيةَ مكونًا مهمًا لإدراكِ الشاعرِ لأهميتهِ في نصِّه ، فالترابطُ الناشئُ بينَ الشاعرِ وهويةِ المكانِ أصبحا كيانًا موحدًا يعطي للمتلقي انطباعه عن المكانِ الموصوفِ ويولد الازدواجيةَ المكانيةَ التي تجمعُ ما بينَ الواقعِ والتمخيلِ ، فابنِ عنين لم يتناولَ المكانَ على أنه كيانٌ ماديٌّ فحسب ، بل عدةَ نقطةِ ارتكازٍ لتفجيرِ همومه وأحاسيسه ، فمكانه كنقطةِ الضوءِ المشعةِ في نصوصه الشعريةِ ، كشفَ به عما يدورُ بذهنه ، وبها أسسَ مرتكزاتٍ لقصائدهِ ، فكان فيها الكثيرُ من الرؤيةِ الشعريةِ التي ردفته بالمعطياتِ مليئةً طموحه ورغباته في وحداتٍ دلاليةٍ متعددةٍ ومتعاقبةٍ ومنتاميةٍ في مسيرها وتطورها الدلاليِّ إلى إكمالِ المعنى وتماهِمِ التصوِّرِ ، فكان لتأسيسهِ المكانيِّ دورٌ كبيرٌ لإقامةِ التصوِّرِ عند القارئِ ليستقطبَ المعنى وليصلَ إلى عمقه ، فاستطاعَ الشاعرُ أن يربطنا بالمكانِ ذاتيًا وخياليًا وتقلًا فنيًا بعدما كان يدركُ حدوده الجغرافيةَ المعروفةَ ، وارتفعَ بالمكانِ من الوجودِ الفعليِّ إلى الوجودِ التصوِّريِّ التخييلِ في الذاتِ ، الهدفُ منه التقاطُ الأحاسيسِ والعواطفِ والمشاعرِ لإنماءِ الوعيِ الشعريِّ ، فاهتمامُ الشاعرِ بالمكانِ يرجعُ لحضوره المكثفِ في حياةِ كلِّ إنسانٍ وفي كلِّ جوانبه انطلاقًا من ولادتهِ حتى مماته ؛ إذ استقرَّ المكانُ عنده وأخذُ بُعدًا نفسيًّا حتى غدا يعبرُ عن أفكاره ومشاعره عند استحضاره مكونًا عنصرًا فاعلاً لتجربته الإبداعيةِ ، فالمكانُ الحيزُ الماديُّ يعني الشيءَ الكثيرَ له ؛ لارتباطه الوثيقِ به لفاعليته في النفسِ الإنسانيةِ ، فهي مرتبطة به منذ الصغرِ ، مختزنة معالمها في ذاكرته ، وهي متفسه الوحيدِ ، والعلاقة بينهما علاقة يجسدها الإحساس والتألف والانسجام ، فشكلت مادته الجوهرية في خطابهِ الشعريِّ ، وتحولت إلى جزءٍ رئيسٍ من شخصيتهِ الشعريةِ والإنسانيةِ ملتحمة بذاكرته ووجوده .

**References:**

- Yaqut AlHamawy, Muejam Al'Udaba' , 'Iirshad Al'Arrib 'Iilaa Maerifat Al'Adib, dar algharb al'iislami , 1993, 2100 .
- Abn Khalkan, Wafayat Al'Aeyan Wa'anba' 'Abna' AlZaman, dar sadir , bayrut, 1994 , 3500 .
- AlDhahabi, Sayr 'Aelam AlNubala'i, dar alhadith / alqahirat , 2006 6200.
- AlSfady, AlWafi Baluafyati, dar 'iihya' alturath alearabii , bayrut , 2000, 3600 .
- AlZrkly, Al'Aelami, dar aleilm lilmalayini, birut, 2001, 7400 .
- Eabdalrahman Munifi, AlMakan Wadalalatu Fi Riwaya (mdun almilha), Ealim al kutub alhadithi, 'iiribidu, al'urduni 2010, 410 .
- Qadat Eaqaqi, Dalalat AlMadinat Fi AlKhitab AlShierii AlEarabii AlMueasiri-Dirasat Fi 'Iishkaliat AlTalaqiy AlJamalii Lilmakani, manshurat atihad alkitaab alearabi, dimashqa, 2001, 280 .
- Habib Munisi, Falsafat AlMakan Fi AlShier AlEarabii-Qira'at Mawdueatiat Jamaliatun, Manshurat Atihad AlKitaab alearabi, dimashqa, 2001, 230 .
- Eabdalkhaliq AlEaff, Dirasat Fi AlShier AlFilastinii AlMuqawim , Rabitat alkitaab alfilastiniyn , 2010 , 195.
- Fathiat Kiltushi, Balaghat AlMakani/ Qira'at Fi Makaniat AlNasi AlShieri, muasasat aliantishar alearabii, bayruti-lubnan, 2008, 340 .

- Siza Qasma, Bina' AlRiwayati, Dirasat Muqaranat Lithulathiat Najib Mahfuzin, AlHayyat almisriat aleamat lilkitabi, 1984, 320 .
- Khalil Muradam Bik, Diwan Abn Eanin, Matbueat AlMajmae AlEilmii alearabii bidimashq , 1946, 640 .
- Mahdi Eubaydi, Jamaliaat AlMakan Fi Thulathiat Hanaminihi, (hikayat Bbhar, AlDdql, AlMarfa albaeida) , Wizarat althaqafat , alhayyat aleamat alsuwriat lilkitab , dimashq , 2011, 410 .
- Hasan Majid, Nazariat AlMakan Fi Falsafat Abn Sina, Baghdad , dar alshuwuwn althaqafiat aleamat , wazarat althaqafat wal'ielami, 1987 , 240 .
- Esam Shirtahi, AlFikr AlJamalii Eind Shueara' AlHadathat AlMueasirin , dar 'umanat lilynashr waltawzie , almamlakat al'urduniyat alhashimiat , 2018 , 420 .
- Muhamad Eabdalmatalabi, AlBalaghat AlEarabiat, Qira'at 'Ukhra, AlSharikat AlMisriat AlEalamiat lilynashri, law najman, 1997, 360 .

## *Effectiveness of Place in Ibn Onain's Texts*

Fairs Yasseen Mohammed Al-Hamdani\*

### **Abstract**

Place plays a vital role in structuring and building a poetic text. As a part of the setting, it is the standpoint from which incidents commence and characters move, to charge the text with condensed denotations making it viable and to add integration and comprehensiveness allowing it to take an artistic form that impresses readers. Then, it is a constituting element that make the text coherent and harmonious and its varied denotations bear self features, creative characteristics. Also, it relates to the feelings of man as it is the background against which social problems and experiences are shown, that is why many feelings and emotions are associated with it.

As far as Ibn Onain is concerned, his wide knowledge enabled him to delineate the actual places imaginarily, first of all inside himself, and second inside his readers stimulating them to feel it. For him, each place is associated with a certain incident and an action that his intellectual vision and memory can identify.

**Key words** : portrait؛ receiving؛ poetic

---

\* Department of Arabic Language / College of Arts / University of Mosul